صورة الأمهات والأطفال في ديوان هرمان "Harman" للشاعر التركي ياوز بولنت باقيلر "Yavuz Bülent Bakiler"

ماردين عادل محمد عبد التواب (*)

"مقدمة"

يُعد الشعر التركي الحديث انعكاسًا صادقًا لآمال المجتمع وآلامه، وقد حظيت صورة الأم والطفل بمكانة بارزة في الإبداع الشعري التركي الأم والطفل مكانة خاصة في الأدب الإنساني منذ القدم، فهما يمثلان جوهر الحياة ومصدر الحنان والأمل. واهتم الشعراء عبر العصور المختلفة بتصوير هاتين الصورتين الإنسانيتين، لما تحملانه من معاني عميقة تلامس قلوب الناس وتعبر عن تجاربهم الحياتية. في هذا السياق، يَبرُز الشاعر التركي المعاصر ياوز بولنت باقيلر كأحد الأصوات الشعرية المميزة التي أولت عناية خاصة لتصوير الأم والطفل في ديوانه "هرمان". فقد خصّص الشاعر القسم الأول من ديوانه، والذي يحمل عنوان "الأمهات والأطفال"، للتعبير الصادق عن جوهر الأمومة وما تنطوي عليه من قيم نبيلة كالتضحية والحب والرحمة الفياضة، وعن الطفل وما يؤثر في نشأته والظلم الذي يقع عليه بسبب الإهمال.

أسباب اختيار الموضوع:

- تُعد صورة الأم والطفل من أكثر الصور الإنسانية تجليًا وبروزًا في ديوان "هرمان" للشاعر ياوز بولنت باقيلر، مما يجعلها محورًا جديرًا بالدراسة والتحليل.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الاتجاهات الفكرية في المجموعة الشعرية " Harman" (المتنوع) للشاعر التركي " Yavuz Bülent Bakiler" (ياوز بولنت باقيلر) ترجمة ودراسة أدبية]، وتحت إشراف: أ.د. حمدي علي عبد اللطيف – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. ناصر عبد الرحيم حسين – كلية الآداب – جامعة حلوان.

- الأم والطفل يحملا مكانة رمزية محورية في النسيج الثقافي التركي والعربي على حدٍ سواء، حيث تمثل الأم نقطة ارتكاز الأسرة والركيزة الأساسية في بناء المجتمع وتماسكه، والطفل يمثل مستقبل المجتمع.
- إبراز الجانب الاجتماعي والوجداني للشاعر من خلال تناوله لقضايا الأمهات ومعاناتهن، مما يكشف عن حساسيته الشعرية العالية تجاه القضايا الإنسانية.
- يساعد تناول هذا الموضوع على فهم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التركي من خلال النصوص الأدبية.
- احتياج الأدب التركي المعاصر إلى مزيد من الدراسات العربية التي تكشف عن جمالياته وقضاياه الإنسانية.
- ندرة الدراسات العربية التي تناولت صورة الأم في شعر الأدب التركي المعاصر.

أهداف الدراسة:

١- دراسة صورة الأم والطفل في شعر "ياوز بولنت باقيلر" من خلال ديوانه "هرمان".
٢- استكشاف الأبعاد الإنسانية والاجتماعية العميقة التي تضمنتها قصائد الشاعر في تجسيده لعالم الأمهات والطفال وتجاربهم الحياتية المؤثرة.
٣- الوقوف على بعض الخصائص الفنية والجمالية المميزة في لغة الشاعر وأسلوبه التعبيري عند حديثه عن الأم والطفل.
٤- إبراز الدلالات الرمزية لحضور الأم والطفل في التجربة الشعرية للشاعر، والكشف عن تمثيلها لمعاني الرحمة والتضحية والفقد، وما تحمله من أبعاد وجودية وإنسانية.
٥- تحليل صورة الطفل في الديوان، وإبراز التنوع في تصوير الأطفال من مختلف الطبقات الاجتماعية.
٦- توضيح دور الأدب في تصوير الواقع الاجتماعي والتعبير عن هموم الناس ومشاكلهم.

منهج الدراسة:

تتبنى هذه الدراسة **المنهج التكاملي** الذي يجمع بين عدة مناهج بحثية مختلفة لتحقيق فهم شامل وعميق للموضوع. يشمل هذا المنهج الوصف الدقيق للصور الشعرية للأمهات والأطفال وتصنيفها، ثم تحليلها لكشف دلالاتها ومعانيها العميقة وأبعادها الفنية والجمالية، مع ربط هذه النصوص بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي أنتجها لفهم تأثير البيئة والظروف على رؤية الشاعر، مما يساعد على تقديم دراسة متكاملة تتناول الموضوع من جوانب متعددة للوصول إلى فهم أعمق وأكثر دقة.

الشاعر ياوز بولنت باقيلر

وُلد الشاعر ياوز بولنت باقيلر في مدينة سيواس[١]، في الأول من شهر صفر عام ١٣٥٥هـ، الموافق الثالث والعشرين من إبريل عام ١٩٣٦م[٢]. تعود جذوره إلى أسرة هجرت قرية "آغدام" التابعة لمدينة قره باغ الأذربيجانية، إبّان احتلال الروس لها عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م. والده جَزمي بك، ووالدته خيرية هانم[٣]. تلقّى ياوز بولنت باقيلر تعليمه الابتدائي في مدرسة ضياء كوك ألب الابتدائية بمدينة سِيواس، ثم واصل دراسته الإعدادية في المدينة ذاتها. أما المرحلة الثانوية، فقد بدأها بدراسة الصفين الأول والثاني في سِيواس، ثم انتقل إلى مدينة غازي عنتاب وأتم الصف الثالث هناك. ولم تلبث العائلة أن انتقلت مجددًا إلى مدينة ملاطيا، فتابع دراسته وأكمل بها الصف الرابع من المرحلة الثانوية. التحق بكلية الحقوق عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، وتخرج فيها عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. وبعدها، أدى خدمته العسكرية في صفوف الحرس الجمهوري. أنهى فترة تجنيده، وعمل لفترة وجيزة مراسلًا برلمانيًا لجريدة "ينـي إسطنبول". ثم التحق براديو

---

[١] مدينة سيواس: تقع في شمال شرق تركيا قرب مدينة توكات. وهي تقع في وسط الأناضول على نهر هاليس أي النهر الأحمر. ٥٥% من سكانها أكراد وبقية سكانها أتراك.
محمود عبد العليم: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، مصر، دار الدعوة، ١٩٤٨م، ص٧٨.

[2] Behçet Necatigil: Edebiyatımızda isimler sözlüğü,varlık yayınları A.Ş, İstanbul, 21.basım, 2004, s.70.

[3] İbrahim Tüzer: Yazuz Bülent Bakiler ile söyleşi, Türk yurdu dergisi, C.29, S.267, Ankara, Kasım 2009, s.43.

أنقـرة. أعـدّ وقـدم عـددًا مـن البـرامج الإذاعيـة فـي راديـو أنقـرة، لكنـه واجـه تحـديات جمّـة، إذ كـان الراديـو آنـذاك – وتحديـدًا بـين عـامي ١٩٦٤ و١٩٦٥م – يعـجّ بفريـق ماركسـي قـوي التـأثير، ممـا جعـل بيئـة العمـل صـعبة عليـه، فاضـطر إلـى تقـديم اسـتقالته. عقـب ذلـك، عـاد إلـى مسـقط رأسـه، وبـدأ ممارسـة مهنـة المحامـاة فـي مدينـة سِـيواس، غيـر أن هـذه المرحلـة مـن حياتـه لـم تـدم طويلًا[١].

خاض ميدان السياسة بشجاعة في عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، مرشحًا لانتخابات النواب عن مدينة سيواس، حيث مثّل حزب العدالة ثلاث دورات في البرلمان. غير أن حظّه لم يسعفه، فخسر الانتخابات بفارق طفيف، لتتجلى له حينها الحقيقة المرّة؛ وهي أن لا السياسة تناسبه، ولا المحاماة تفتح له أبواب النجاح. التحق بعد ذلك بمستشارية وزارة الزراعة، حيث عمل نحو عام، ثم انتقل في عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م إلى قناة TRT في أنقرة، التي كان يرأسها آنذاك شعبان قره طاش[٢]، وعمل فيها مدة أربع سنوات[٣]. تألّق في سماء الإذاعة، وترك بصمة لا تُمحى في تاريخ الأدب والثقافة التركية من خلال سلسلة برامج متميّزة، لعلّ من أشهرها: "آثار تركية في أوروبا"، و"عواصم تركية قديمة"[٤]. وخلال تلك المرحلة، تولّى عددًا من المناصب، ثم قدّم استقالته، لينتقل بعدها إلى العمل نائبًا لمستشار وزارة الثقافة، وذلك بين عامي ١٣٩٩-١٤٠١هـ / ١٩٧٩-١٩٨٠م. كلّفه جاهد بك، وزير الثقافة في الحكومة العسكرية الجديدة، في أعقاب أحداث الثاني عشر من سبتمبر ١٩٨٠م، بمواصلة عمله مستشارًا بالوزارة. قرر بمحض إرادته

---

(1) Selçuk Karakılıç: Yavuz Bülent Bakilerin Eserlerinde Dil, Tarih, Vatan Ve Kimlik Şuuru. YÜKSEK LİSANS Tez, KARABÜK, 2021, s.24.

٢ ولد في قونية عام ١٩٢٨م تخرج في كلية الزراعة بجامعة أنقرة. شغل العديد من المناصب فقد شغل منصب رئيس قسم علوم الحيوان في كلية الزراعة بجامعة أنقرة، وعين مديرًا في TRT وكان ضد حزب الشعب الجمهوري آنذاك الذين حاولوا مرارًا إقالته من منصبه. توفي عام ٢٠١٦م.

TRT'NİN EFSANEVİ GENEL MÜDÜRÜ ŞABAN KARATAŞ VEFAT ETTİ, Türkiye Yazarlar Birliğ, 17 Şubat 2016.

(3) Selçuk Karakılıç: A.E.G, s.24.

(4) Ahmet Kabaklı: Türk Edebiyatı, 2.Baskı, çırkan Türkiye Yayınevi, TÜRK EDEBİYATI VAKFI, İstanbul, 1966. S.360.

أن يطوي هذه الصفحة في عام ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، فترك الوظيفة وأُحيل إلى التقاعد.

نشر أشعاره في مجلة "حصار" بين عامي ١٩٦٤م و١٩٨٠م، ومن ثم في مجلة "الأدب التركي" منذ عام ١٩٨٠م[١]. وقد نشر ياوز بولنت باقيلر أربعة دواوين شعرية؛ وعلق على أفكاره في هذه الكتب قائلاً: " (Yalnızlık:الوحدة) هو ديواني الشعري الأول، الكتاب الذي نَمَت فيه مشاعري في فترة القوة والشباب. إنه ديوان حزين جدًا، حيث يواجه واقع الأناضول بعد أن بدأت العمل محاميًا في سيواس. أما ديوان " Seninle : معك" فقد كان مرحلة زمنية جديدة بالنسبة لي عندما بدأت بالنضوج. أما في ديوان " Harman:هرمان " يوجد فيه قصائدي الموجودة في دواويني، بالإضافة إلى القصائد التي نظمتها عن فتح استانبول، بجانب أحدث كتاباتي. وبالطبع فإن القارئ هو من سيصدر الحكم"[٢].

(1)Mehmet Arif: Yavuz Bülent Bakiler'in Siirleri Üzerine Bir Arastırma inceleme", Yüksek Lisans Tezi, Pamukkale Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2003, s.161.

(2)Mehmet Nuri Yardım: Türk Şiirinden Portreler, Nesil Yayınları, İstanbul, 2005, s.68.

صورة الأمهات والأطفال في ديوان هرمان

الأمهات

شغلت الأم مكانة كبيرة ومهمة في قصائد الشاعر "ياوز بولنت باقيلر". فالأم التركية الموجودة في مجتمعنا، وديننا، وقصائدنا، وقصص الأدب الشعبي، والأغاني الشعبية، والحكايات الخرافية؛ نراها في أشعار ياوز بولنت باقيلر مفعمة بالعاطفة، والتضحية، والرحمة-التي لا نهاية لها- والحكمة، والزهد...، فقد صورها أنها العمود الفقري للمنزل والأسرة والأمة[1].

تتجلّى صورة الأم في قصائد ياوز بولنت باقيلر باعتبارها رمزًا للأمهات المتضررات، أمهاتِ الأطفال الفقراء والجائعين، والمساكين، والمسجونين، والغرباء.

رسم الشاعر ملامح أمّ الغريب بأسى عميق، مصوّرًا إياها حزينةً، شاردة البال، لا تكفّ عن التطلّع إلى الطرقات والشوارع، علّها تبصر ظلّ ابنها الغائب. وقد عبّر عن ذلك قائلًا":

" أم الغريب تتطلع إلي الطرق
من النوافذ بالأناشيد الشجية
وقرب كل مساء
يرتسم على وجهها النحيف
خطوط الحزن ونقاط الهم"[2].

ومن فرط شوق الأم لابنها الغريب، كانت تظلّ في انتظار رجوعه، تتشبث بأمل رؤيته ولو من خلف النافذة وهو عائد. وقد ترك الحزن أثره العميق على جسدها، فبدت نحيلة الوجه، منهكة الروح. تنتظره وهي تردّد الأناشيد الشعبية الحزينة، في

---

(1) Ahmet Kabaklı, Türk Edebiyatı, C. IV, Türk Edebiyatı Vakfı Yay., 10. Baskı, İstanbul 2002, s.370.

(2) Garibin anası pencerelerden
Yanık türkülerle yollara bakar.
İncecik yüzünde her akşamüstü
Çizgi çizgi, nokta nokta bir efkâr. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.1.)

مشهد يفيض بالأسى والحنين، وهو ما يدلّ على انتماء عامة الشعب في تلك الفترة إلى طبقة بسيطة مشبعة بالتراث الشعبي ومتأثرة به في وجدانها وتعبيراتها.

والحق فإن الشاعر وفق بشكل كبير في تخير ألفاظه لتكون ملائمة للجو الشعري وعاطفة الشاعر، فألفاظه تحمل في طياتها ما يُشعر القاريء بالغربة واللوعة مثل لفظ "شجي: Yanık"، وتعبير "قبيل المساء: akşamüstü" التي تعبر عن غربة الشمس بما يناسب جو الحديث وهو الغربة والتي ينظم فيها الشاعر أبياته.

كما صور أيضًا نمطًا آخر من الأمهات تمثل أم الفقير، التي يغمرها الحزن والأسى على حالها، فيقول:

"أم الفقير كل صباح في صمت

تبكي لبقاء ابنها جائع عارِ

ولكن تبقى مكتوفة الأيدي بلا حول ولا قوة

فهي نادمةً الف مرة على ميلادها وولادته."[1].

بدأ الشاعر بتصوير الأم في حالة صمت، مما يعكس الحزن العميق الذي يلازمها. البكاء هنا ليس مجرد دموع، بل هو تعبير عن عجزها الشديد عن تحسين حياة ابنها. تصوير الأم بأنها نادمة على إنجاب ابنها يعكس شعورها بالذنب والحرمان. رغم حبها الطبيعي لطفلها، إلا أن الظروف المعيشية القاسية والضغوط الاقتصادية تجعلها تشعر بالعجز. جملة "لا حول لها ولا قوة" توضح مدى عجز الأم عن تغيير واقعها. الأبيات تثير مشاعر التعاطف مع الأم التي تجد نفسها في دائرة من الفقر والتعاسة، حيث لا تستطيع توفير احتياجات ابنها الأساسية، مما يزيد من قسوة الوضع.

وقد نجح الشاعر في رسم المشهد بهندسته اللفظية المعبرة، فقد انتقى من الألفاظ ما يعبر عن حيرتها أمام بكاء طفلها الجائع ومن فرط ألمها تمنت لو لم تولد ولم تنجب هذا الرضيع البائس.

---

(1) Fakirin anası her sabah sessiz,
Ağlar çocuğunun aç-çıplak durduğuna.
Elleri koynunda kalır çaresiz
Bin pişman doğduğuna, doğurduğuna. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.1.)

وتناول نوعًا آخر من الأمهات، وهي الأم الحرة التي تم سجن ابنها، تلك الأم التي تشعر أنه لو كانت هي من سُجِنت بدلاً منه لكان ذلك أفضل، يقول الشاعر:

"أم السجين تصمت ولا تتكلم
تظن أن الذنب ذنبها
تهرب من الناس، والأضواء
تخجل حتي لو نظرت إلى الجدران."[1].

بدأ الشاعر بتصوير الأم في حالة صمت مطبق، حيث لا تتكلم ولا تعبر عن مشاعرها، وكأنها لا تجد الكلمات لتعبّر عن حزنها أو توجعها. الأم في الأبيات تظن أن الذنب ذنبها، وهذا يشير إلى شعورها بالمسؤولية عن سجن ابنها. ربما تعتقد أنها فشلت في تربيته أو أنها كانت السبب في معاناته، مما يضاعف من شعورها بالذنب. هروب الأم من الناس والأضواء يعكس رغبتها في العزلة والابتعاد عن المجتمع، خوفًا من نظرات اللوم أو العتاب. حتى خجلها من النظر إلى الجدران يوحي بشدة مشاعر العار والندم التي تشعر بها. ربما ترى في الجدران رمزًا للواقع القاسي الذي تعيشه، وهي لا تستطيع حتى مواجهة هذا الواقع.

استخدم الشاعر في هذه القصيدة العديد من الصور الاجتماعية التي تمثل الأم، وجميع هذه الصور تتسم بالحزن والشقاء. من خلال هذه الصور، وصف الشاعر حال المدينة المليء بالفقر والجوع.

صور الشاعر معاناة الأمهات، لكنه لم ينسَ أن يذكر وصفًا خاصًا لأمه وحماته، حيث وصفهن بالرحمة والدفء والحنان والطمأنينة والصفاء. هنا تظهر نظرة الابن إلى أمه وحماته، فقد ذكر جميع الصفات الإيجابية التي يراها فيهن.

قال عن أمه:

"إذا انكشف عني الغطاء قليلًا في منتصف الليل، تشعر بذلك
فتنهض من سريرها وتأتيني
إذ تمتد يد مباركة إلى لحافي برفقٍ

---

[1] Mahkûmun anası susar konuşmaz
Suçu kendisinde sanır.
Kaçar insanlardan, aydınlıklardan
Duvarlara bile baksa utanır. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.1.)

فأدرك أنها يد أمي"[١].

وقال عنها أيضًا:

"في صوتها القائل يا صغيري

تحس الرحمة ، والدفء، والفخر"[٢].

الأبيات تبرز العلاقة القوية بين الأم وابنها، التي تتسم بالعناية اللامحدودة والحب العميق. ففي الأبيات الأولى عكس الحنان والاهتمام العميق من الأم، حيث يظهر من تصرفها أن الأم حاضرة دائمًا في حياة ابنها، لا يغيب اهتمامها حتى في أصغر التفاصيل. اليد هنا تمثل رمزًا للراحة والحماية، وأيضًا للمودة واللطف الذي لا ينتهي. أما الصورة الثانية يشير بها الشاعر إلى صوت أمه وهو يناديه بـ "يا صغيري". من خلال هذا النداء، يشعر الشاعر بالرحمة والدفء، وكذلك بالفخر. صوت الأم هنا هو مصدر الأمان والطمأنينة بالنسبة له. يعكس الصوت الدافئ شعورًا بالحب غير المشروط الذي تقدمه الأم لأبنائها. يظهر من خلال الأبيات كيف أن الأم هي مصدر الأمان، الراحة، والدفء في حياته.

كما أن الشاعر لم ينس في أشعاره ذكر الحماة ليبين لنا الترابط الأسري الذي يشمل الجميع بما فيهم حماته؛ التي يراها كأنها أمه، وهذا ينقل لنا جزء من الثقافة التركية التي هي جزء من ثقافة وعادات وتقاليد الشرق التي يرى فيها الزوج أن والدة زوجته بمنزلة أمه. والحق فإن الشاعر يتخير من الألفاظ والتعبيرات ما يعكس قيمة ومكانة الحماة عنده حيث نظم قائلًا:

"أم زوجتي تشبه أمي

فهي مثلها ودودة وحساسة ورقيقة

فأفكارها وادي سهل ونبعها براق"[٣].

---

(1) Açılsa üstüm biraz, duyar da gece yarısı
Kalkar yatağından gelir.
Bir mübarek el uzanır yorganıma usulca
Bilirim anamın elidir. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.10)

(2)Bir merhamet, bir sıcaklık, bir gurur;
Yavrum diyen sesinde. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.10)

(3) Karımın anası anama benzer
Öylesine yakın, duygulu, ince.

يعبّر الشاعر عن تقديره لأم زوجته من خلال مقارنتها بأمه، حيث يراها شبيهة بأمه في العديد من الصفات الإنسانية الطيبة. هذا التشبيه يعكس العلاقة القوية والمبنية على الحب والاحترام بين الشاعر ووالدة زوجته. تظهر الحماة في وصفه كإنسانة ذات قلب طيب، تحب وتعتني بمحيطها كما تفعل الأم. الشاعر يصف حماته بأنها "صافٍ كنبع الماء"، مما يعكس نقاء روحها وطيبتها. هذا التشبيه يعزز صورة الحماة كإنسانة نقية القلب، محبة للخير والصدق.

يمكننا ملاحظة أن الكاتب قدم خمس صور في قصيدته "ANALAR" (الأمهات)، حيث تضمنت ثلاث صور لأمهات يعانين من الشقاء بسبب أبنائهن، وصورتين للأم الحنونة.

وعند فقدان الشاعر لامه صور نفسه باليتم وقال:

"أعاني ما يعانيه الأيتام"[1].

عندما يفقد الشخص أمه، يشعر وكأن الحياة فقدت جزءًا كبيرًا من معناها. الشاعر هنا يشعر بمعاناة الأيتام الذين لا يجدون من يحنو عليهم أو يعوضهم عن فقدانهم، مما يبرز شدة حزنه على فقد أمه. من خلال هذه العبارة سلط الشاعر الضوء على الألم العميق الذي يشعر به بعد وفاتها، ويُظهر كيف أن فقدان الأم يعادل معاناة الأيتام الذين فقدوا من يعولهم.

على الرغم من وفاة أمه، إلا أنه لا يزال يبحث عنها في كل مكان، مُصوِّرًا عدم قبوله برحيلها عن الدنيا واشتياقه واحتياجه لها، حتى في مرحلة عمره المتقدمة، قائلًا:

" ابحث عنك كعاشق مجنون

يا أمي يا أمي يا أمي!"[2].

كما أنه يصور قدرة أمه على الشعور به بالرغم أنها في قبرها فقال:

" وإن بكيت فإني أعرف أمهات تسمع صوتي

Özü-sözü bir yayla gözesi kadar berrak, (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.11)

(1) Bendedir öksüzlerin çektiği çile... (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.12)

(2) Seni arıyorum deli-divâne:
- Anne! Anne! Anne! (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.9)

من المكان الذي ترقد فيه"[١].

يشير الشاعر إلى أنه عندما يبكي، فإنه لا يعبّر فقط عن حزنه الشخصي، بل يشعر وكأن أمه ما زالت قادرة على سماع بكائه، رغم موتها. توظف هذه الأبيات صورة حسية قوية لتأكيد بقاء أمه في قلبه وفي روحه، رغم غيابها الجسدي. عندما يقول "أمهات تسمع صوتي من المكان الذي ترقد فيه"، فإنه يشير إلى فكرة أن الأم لا تزال موجودة بشكل ما في عالم آخر، كما لو أن روحها قادرة على الشعور بألمه ومواساته، وهذا يعكس تعلقه العميق بها واعتقاده بأن حبها له لا ينتهي بالموت.

وبتلك الصور، قدّم الشاعر جل الأبعاد الواقعية للأم التي نراها في مجتمعاتنا، فالأم هي الوطن الكبير الذي يظل يحتضننا بحبه ورعايته، مهما تغيرت الظروف أو مرت الأيام.

الأطفال

يهتم الكتاب وأصحاب الفكر بالشباب والأطفال خاصةً في أعمالهم الأدبية؛ لأن الأطفال هم الضامن لانتقال الفكرة واستمراريتها جيلًا بعد جيل. وقد اهتم "ضيا كوك ألب" -واضع قواعد فكرة الطورانية- في كتاباته بالطفل وتعليمه وتربيته[٢]. حيث تُعد الطفولة مرحلة أساسية في حياة الإنسان، فهي تُعد المرحلة الأولى للإنسانية، وفيها تتجسد البراءة، والبساطة. وقد أدرك العديد من الشعراء أهمية هذه المرحلة وتأثيرها في تشكيل المستقبل، فاختاروا أن تكون الطفولة محورًا لقصائدهم، ليعبروا عن آمالهم وطموحاتهم لأجيال المستقبل. نجد الشاعر الكبير ناظم حكمت الذي كتب كثيرًا عن الأطفال يقول :

"أجمل بحر هو الذي لم نذهب إليه بعد
وأجمل طفل هو الذي لم يكبر بعد"[٣].

---

(1) Ağlasam, sesimi yattığı yerden bile
Duyacak analar bilirim. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.12)

(٢) سندس عاصم السيد: النزعة الإنسانية في القصة القصيرة عند الكاتب التركي عمر سيف الدين (دراسة تحليلية نقدية)، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مجلد ٣٧، عدد ٣، القاهرة ٢٠٢٢م، ص ٦٩.

(3)"En güzel deniz: henüz gidilmemiş olanıdır. En güzel çocuk: henüz büyümedi."

تناول الشاعر موضوع الأطفال وافرد له مساحة في الجزء الأول من ديوان "هرمان" المسمى بـ"الأمهات والأطفال"، فيجسد في قصائده أحلامهم، وتحدياتهم، وآمالهم، بل ويعبر عن عالمهم الفريد بأسلوبٍ يمزج بين البساطة والعمق. فقد عكست قصائده رؤيته للأطفال ودورهم في المجتمع.

صور الشاعر الأطفال في عدة جوانب مختلفة؛ فتارةً يتحدث عن نفسه وطفولته، وتارةً أخرى يسلط الضوء على أطفال الشوارع، كما تطرق أيضًا إلى معاناة الأطفال اليتامى...

نظم الشاعر صورة شعرية تأملية عن لحظة ميلاده قائلًا:

يولد هناك طفل في عالمنا مجددا

وأنا هنا[1].

البيت يحمل صورة شاعرية عن لحظة الميلاد، لكن بصيغة تأملية داخلية، كأن الشاعر يرى نفسه من الخارج، ويروي لحظة ولادته لا كحدث بيولوجي فقط، بل كلحظة وعي أو إدراك لوجوده. تُوحي "يولد هناك طفل" بأن حدث الولادة يحدث "في مكان ما"، وكأن الشاعر يراقب تلك اللحظة من الخارج، من مسافة زمنية أو روحية. يعبر التعبير "أنا هنا" عن لحظة الحضور، الوعي، الوجود... فالطفل الذي وُلد هناك، أصبح الآن "أنا" الموجود هنا. ففي هذا التعبير نوع من الربط بين الماضي والحاضر، بين لحظة الميلاد، ولحظة الإدراك.

ويصوّر الشاعر مرحلة نموه بصورة بديعية جميلة، يقول فيها:

فكما ينمو هناك الغصن والورق والزرع

وتنبت الأرض من مطر خفيف شئيا فشيئا

ينمو طفل من طيف نور شئيا فشيئا

وهنا أنا [٢].

Nâzım Hikmet, 24 Eylül 1995, En Güzel Deniz, Bütün şiirleri 2019

(1)Orda, bir çocuk doğar dünyamıza yeniden
Burda ben. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.17)

(2) Dal nasıl, yaprak nasıl, ekin nasıl büyürse
Toprak nasıl uyanırsa bir incecik yağmurdan
Orda, bir çocuk büyür, yumak yumak bir nurdan
Burda ben. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.17)

شبه الشاعر مراحل نموه التي يشاركه فيها جميع الأطفال بنمو الغصن، والأوراق، والزرع، وهي صور طبيعية تعبر عن التدرج والهدوء والاستمرار. كما يُشبّهه بنمو الأرض بعد المطر، وهي صورة مليئة بالحياة، والبداية، والخصوبة. استخدام "شيئًا فشيئًا" يوحي بأن النمو ليس لحظة واحدة، بل رحلة طويلة، مليئة بالتغيرات، كما يحدث في الطبيعة تمامًا. المطر الخفيف لا يقتلع ولا يُحدث فوضى، بل يمنح الحياة بهدوء. وهكذا هو نمو الطفل في رؤية الشاعر: لطيف، ناعم، لكنه عميق الجذور ومليء بالأمل.

ويواصل الشاعر تأملاته لكن الآن حول حال الأطفال اليتامى، مصورًا مشاعرهم بصدق وألم، فيقول:

هناك طفل ظل يتيم في منزل بعيد
لا يستهويه اللعب ولا النوم ولا الماء
ولا حتى الرسوم اليدوية.
وهنا أنا[1].

في هذه الأبيات، يصوّر الشاعر معاناة الطفل اليتيم، الذي يمتلك كل ما يُفترض أن يجلب له السعادة، كغيره من الأطفال، ولكن تلك الأشياء لا تستطيع أن تملأ الفراغ الذي خلّفه غياب أبويه. ورغم أن الشاعر يتحدث عن طفل بعيد، لا يعرفه ولا يراه، إلا أن بينهما خيطًا من المشاعر المشتركة، وهو ما يُعرف بـ"المشاركة الوجدانية"، حيث يعبّر الشاعر عن أحاسيس تتقاطع مع مشاعر الطفل، وكأنه يشاركه ألمه بصمت.

ويستمر الشاعر في تقديم صور إنسانية مؤلمة لحال الأطفال، حيث يرسم هذه المرة مشهدًا لطفل مريض في حالة ضعف شديدة، فيقول:

هناك طفل مريض يهذي بمنتصف الليل
إذا لمسته سيطير بعيدا مثل طائر النورس
وجهه الشاحب عبارة عن حفنة ثلج

---

[1] Ne oyun oynamak ister, ne uyku, ne su...
Ne elişi resimleri gönlünü alır.
Orda, bir uzak evde bir çocuk yetim kalır
Burda ben. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.18)

وهنا أنا[1].

يفتتح الشاعر الصورة بجو من القلق والوحدة والضعف. صور الشاعر الطفل في حالة مرضه بالضعف البدني الشديد. صور الشاعر الطفل بطائر النورس في خفته، لكن هذه الخفة ليست حيوية، بل ناتجة عن شدة المرض والضعف. كما جاء بتشبيه مباشر بين وجه الطفل و"حفنة الثلج" ليرسّخ برودة الموت، أو على الأقل يعبر عن انطفاء الحرارة والحياة من وجهه. وأضاف الشاعر "بمنتصف الليل" ليعبر عن وحدته وعدم شعور من حوله به. وقد تشارك الكاتب مع هذا الطفل مشاعره الوجدانية ربما تكون تعبيرًا عن تعاطفه، أو عجزه أمام هذه المآسي، أو شعوره أنه قريب وجدانيًا من هؤلاء الأطفال رغم المسافة.

ويواصل الشاعر تصوير معاناة الأطفال اليتامى، مُلقيًا الضوء على ظاهرة الفقر وأثرها على هؤلاء الأطفال، فيقول في أبيات أخرى:

الأطفال اليتامى بائعو النعناع والماء
لم يستطيعوا الغناء للشمس، أو القمر...
أعلم أنهم لم يشبعوا من الاستماع إلى القصص الخيالية
ولا اللعب[2].

في هذه الصورة، يشير الشاعر إلى الأطفال اليتامى الذين اضطروا للعمل في الشوارع كـ بائعي النعناع والماء. هذه الحرفية تبرز مدى الفقر المدقع الذي يعانون منه، حيث لا يملك هؤلاء الأطفال ما يضمن لهم حياة كريمة سوى العمل الشاق في مهن بسيطة جدًا. الغناء للشمس والقمر يمكن أن يكون رمزًا للبراءة، والفرح البسيط، والمخيلة الواسعة التي تمتلئ بها طفولة الأطفال. لكن هؤلاء الأطفال، بسبب فقرهم، لا يملكون رفاهية الاستمتاع بهذه الأشياء البسيطة. الطفولة

---

(1) Dokunsam martı gibi uçup gidecek sanki
Solgun yüzü bir avuç kar.
Orda bir gece yarısı bir hasta çocuk sayıklar
Burda ben. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.18)

(2) Nane satan, su satan yetim çocuklar
Şarkı söyleyemediler, güneşe, aya...
Biliyorum ne masal dinlemeye doydular
Ne oyun oynamaya... (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.19)

يجب أن تكون مليئة باللعب والفرح وهؤلاء الأطفال قد سُلبت منهم طفولتهم بسبب ضغوط الحياة اليومية.

ويقول الشاعر:

أطفال ناعمي الأظافر في سوق الغرباء
سُلِبَت وجوههم الجميلة من التعب خذ خذ...
على شفتيه صرخة مميته قائلة:
شيال فارغ! شيال فارغ! شيال فارغ!(١).

تشير عبارة "ناعمي الأظافر" إلى أطفال يافعين، أي أنهم في مرحلة براءة الطفولة. لكنهم موجودون في سوق الغرباء، مما يعني أنهم في مكان غير مألوف لهم، بعيد عن أجواء الأمان والعناية التي ينبغي أن تكون موجودة في حياة الأطفال. "سُلِبَت وجوههم الجميلة" توحي بأن الألم والجوع قد محو براءتهم وتدل على عجزهم، وكأنهم فقدوا جمال طفولتهم تحت وطأة المعاناة. يبرز الشاعر صرخة الألم المميتة التي تتردد على شفاه هؤلاء الأطفال كأنها أزيز حياة توشك على الانتهاء، أو صرخة محتجّة على القسوة.

ومن الملاحظ على اسلوب الكاتب في اشعاره ان لغته معبرة عن الحالة التي هو بصددها وهو عمالة الاطفال حيث نجد الألفاظ الدالة والمعبرة وهو ما يمكن أن نسميه موافقة الأسلوب للسياق ومن الألفاظ المعبرة عن الموقف (أطفال ناعمي الاظافر- سوق الغرباء- التعب – صرخة – حمال)، فالشاعر بهذه اللغة يكون موفقًا في تناوله لصورة الطفل في هذا المشهد.

لم يغفل الشاعر عن رسم صورة دقيقة لملامح الأطفال الفقراء المتسولين، مُجسدًا معاناتهم بصدق وألم، فيقول:

الأطفال المساكين في فناء مسجد اولو جامع في سيواس
ناظرين حولهم بعيون مستجديه
باسطوا كفوفهم السمراء الصغيرة جدا

---

(1) Garipler Pazarı'nda körpe çocuklar
Yorgunluktan güzelim yüzleri al al...
Öldüren bir çığlık dudaklarında:
- Boş hamal! Boş hamal! Boş hamal..! (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.19)

صدقة يا عمي صدقة يا عمي ![1].

يبدأ الشاعر بتحديد مكان المعاناة، وهو فناء المسجد أو الجامع في سيواس. هذا المكان يحمل رمزية دينية، حيث يُتوقع أن يكون مكانًا للسلام والسكينة، لكنه هنا يتحول إلى مساحة للمعاناة والفقر. "المساكين" تعبير يحمل ألمًا عميقًا ويُظهر أن هؤلاء الأطفال يعيشون في حالة من الفقر المدقع، ولا يملكون ما يضمن لهم حياة كريمة. تعكس صورة "العيون المستجدية للأطفال" حالة من الرجاء والانتظار. وصف الكفوف بأنها "سمراء صغيرة جدًا" يُبرز صغر حجمهم وطفولتهم، لكنه أيضًا يشير إلى التعب والشقاء الذي ألمّ بهم منذ الصغر، هذه الأيدي الصغيرة تمثل البراءة والاحتياج في آن واحد. تكرار "صدقة يا عمي "يشير إلى الاستجداء المتكرر، كأن الأطفال ليس لهم أي وسيلة للحصول على ما يحتاجون إليه سوى الطلب من المارة، هذه العبارة تعكس الذل والاحتياج، وهو موقف قاسي يعبر عن الواقع المرير الذي يعيشه هؤلاء الأطفال في ظل الظروف القاسية.

وفي أبيات أخرى، يعبر الشاعر عن شعوره بالذنب تجاه هؤلاء الأطفال، مُشيرًا إلى المعاناة التي لا يجب أن يتحملها هؤلاء الأطفال، فيقول:

الأطفال المخطئون، والأطفال المذنبون
أنظر لهم في قاعة المحكمة واحدًا تلو الآخر
هذا الذنب ذنبنا، هذا خطأنا
سامحونا[2].

وضح الشاعر أن هؤلاء الأطفال الذين تم إبعادهم عن ألعابهم، وإخراجهم من الحدائق وإلقائهم في الأسواق؛ كل الأطفال الذين تم تقييد أيديهم في قاعات

---

(1) Sivas'ta Ulu Câmi avlusunda yoksul çocuklar
Yalvaran gözlerle etrafa baka baka
Açıyorlar küçücük esmer avuçlarını:
- Emmilerim sadaka! Emmilerim sadaka! (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.19)

(2) Ve günahkar çocuklar, suçlu çocuklar
Mahkeme salonunda bakarım dizi dizi.
Bu suç bizim suçumuz, bu günah bizim
Affedin bizi. (Yavuz Bülent Bakiler: Harman, s.19)

المحكمة بدلًا من اللعب في الشوارع هم أطفالنا؛ الشاعر إنسان يحمل في داخله مسؤولية هؤلاء الأطفال كأنهم أطفاله. نجد الشاعر يضع الأطفال في موضع الخطأ والذنب، لكن هذه العبارة ليست مجرد اتهام لهم، بل هي مخاطبة للمجتمع. وبصفته المتحدث باسم الأمة التي يرى أنها السبب في حالة هؤلاء الأطفال فإنه يطلب منهم السماح والعفو.

أبدع الشاعر من خلال أبياته، في تصوير معاناة الأطفال في مختلف مراحل حياتهم، محاولًا نقل واقعهم المرهق في عالم يعج بالفقر واليتم والحرمان. نجح في تجسيد تفاصيل حياتهم الموحشة، من التسول في شوارع المدينة إلى معاناتهم في فناء المسجد، من خلال تصويره لعيونهم المستجدية وكفوفهم الممدودة طلبًا للمساعدة. بذلك، جعل الشاعر من عالم الأطفال مرآة عاكسة لواقع المجتمع بأسره، حيث يظهر فيه قسوة الظروف الاجتماعية التي تؤثر بشكل كبير على مصير هؤلاء الأطفال.

الخاتمة:

١- أبرزت الدراسة المكانة المحورية للأم في شعر ياوز بولنت باقيلر، حيث جسّدها رمزًا للعاطفة والتضحية والرحمة اللامتناهية، وجعلها العمود الفقري للأسرة والأمة.

٢- تنوع صورة الأمهات في ديوان "هرمان" بين أم الغريب، وأم الفقير، وأم السجين، وأمه الشخصية، وحماته، مما يعكس شمولية رؤيته الشعرية.

٣- أظهر الشاعر قدرته على ربط صورة الأم بالوجدان الشعبي من خلال توظيف الأغاني الشعبية والتعابير التراثية، مما يعزز البعد القومي في أشعاره.

٤- ركز الشاعر على معاناة الطبقات الفقيرة والمهمشة في المجتمع التركي من خلال تصوير أمهات وأطفال يعانون من الفقر والجوع واليتم.

٥- أبرز الشاعر القيم الإنسانية النبيلة مثل الحب الأمومي والتضحية والرحمة والحنان.

٦- لم يقتصر تصوير الأم على الجانب المجتمعي العام، بل انتقل إلى الذاتي، إذ قدّم صورة والدته وحماته باعتبارهما نموذجًا للرحمة والدفء والصفاء، مما يعكس قيم الترابط الأسري في الثقافة التركية.

٧- نجح في توظيف الألفاظ والصور البلاغية بما يتناسب مع الجو النفسي والعاطفي، مثل مفردات الحزن، الغربة، واللوعة، لإيصال أعمق درجات المعاناة الإنسانية.

٨- عكست أشعاره أثر فقدان الأم في حياته، إذ صور نفسه يتيمًا رغم تقدمه في العمر، مؤكدًا أن العلاقة بين الأم وابنها لا يقطعها الموت، ونجح في ربط الماضي بالحاضر من خلال استحضار ذكريات طفولته وأمه حتى بعد وفاتها.

٩- كشف شعره عن مأساة عمالة الأطفال، وسلبهم براءة الطفولة، من خلال صور واقعية لأطفال الأسواق والمتسولين في المساجد، مما قدّم نقدًا اجتماعيًا لاذعًا.

١٠- عبر الشاعر عن شعوره بالذنب والمسؤولية تجاه معاناة الأطفال، مما يدل على ضميره الاجتماعي الحي.

١١- وظف أسلوب التكرار في بعض قصائده لتأكيد المعنى وإثارة مشاعر القارئ، كما في تكرار "وأنا هنا" و"صدقة يا عمو".

١٢- أظهر الشاعر قدرة فنية عالية في التنويع بين الصور المؤلمة والصور الجميلة، مما يخلق توازنًا عاطفيًا في الديوان.

١٣- تأكد من خلال الدراسة أن الأدب يمكن أن يكون وسيلة فعالة للتعبير عن قضايا المجتمع والدفاع عن الطبقات المهمشة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

1- Yavuz Bülent Bakiler: Harman, Türk Edebiyatı Vakfı Yayınları, İstabul 2010.

ثانيًا: المراجع العربية:

١- سندس عاصم السيد: النزعة الإنسانية في القصة القصيرة عند الكاتب التركي عمر سيف الدين (دراسة تحليلية نقدية)، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مجلد ٣٧، عدد ٣، القاهرة ٢٠٢٢م.

٢- محمود عبد العليم: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، مصر، دار الدعوة، ١٩٤٨م.

ثالثًا: المراجع التركية:

1- Ahmet Kabaklı: Türk Edebiyatı, 2.Baskı, çırkan Türkiye Yayınevi, TÜRK EDEBİYATI VAKFI, İstanbul, 1966.
2- Ahmet Kabaklı, Türk Edebiyatı, C. IV, Türk Edebiyatı Vakfı Yay., 10. Baskı, İstanbul 2002.
3- Behçet Necatigil: Edebiyatımızda isimler sözlüğü,varlık yayınları A.Ş, 21.basım, İstanbul,2004.
4- İbrahim Tüzer: Yavuz Bülent Bakiler ile söyleşi, Türk yurdu dergisi, C.29, S.267, Ankara, 2009.
5- Mehmet Arif: Yavuz Bülent Bakiler'in Siirleri Üzerine Bir Araştırma inceleme", Yüksek Lisans Tezi, Pamukkale Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2003.
6- Mehmet Nuri Yardım: Türk Şiirinden Portreler, Nesil Yayınları, İstanbul, 2005.

7- Nâzım Hikmet, 24 Eylül 1995, En Güzel Deniz, Bütün şiirleri 2019
8- Selçuk Karakılıç: Yavuz Bülent Bakilerin Eserlerinde Dil, Tarih, Vatan Ve Kimlik Şuuru. YÜKSEK LİSANS Tezi, KARABÜK, 2021.